



Contents lists available at www.iusrj.org

International Uni-Scientific Research Journal

Journal homepage: www.iusrj.org



Educational Sciences, Humanities.

Grammar and Significant production

Via Quranic examples

النحو وإنتاج الدلالة من خلال شواهد قرآنية

حفيظ الفلاحي - Hafid Elfallahi

Article Info

Abstract

Article history:

Received: 26-01-2021

Accepted: 09-02-2021

doi:202101260811

Available

The article addresses the issue of the link between meaning and grammar. In order to confirm this link between grammar and meaning, I chose to study Qur'anic examples from Surat Al-A'raf So I invoke some linguistic phenomena. Then I linked it to the opinions of some interpreters of the Noble Qur'an, And The most important results of the research; As the reasoning changes, the significance changes. and If The syntax change, the meaning of the entire phrase will change.

Keywords:

Grammar, connotation, interpretation, the Holy Quran

النحو, الدلالة, التفسير, القرآن الكريم

© 2021 DSDgates. OpenAccess

المقدمة

تساهم معاني النحو في توضيح العديد من أي القرآن الكريم؛ ولا يخفى على دارس اللغة العربية الارتباط الوثيق بين المعنى والنحو، إذ كلما تعددت أوجه إعراب الكلمة، تعدد المعنى. وتبقى الوجوه الإعرابية من الوسائل الإجرائية المهمة والمسعفة لتحقيق أهداف النص القرآني وغاياته، وللبحث عن كل ما يفيد في استنتاج نصوصه.

الملخص

يعالج المقال الارتباط الوثيق بين المعنى والنحو، إذ كلما تعددت أوجه إعراب الكلمة، تعدد المعنى. ومن أجل الاستدلال على هذا الترابط، اخترت معالجة شواهد قرآنية من سورة الأعراف، لذا حاولت استحضار مجموعة من الظواهر اللغوية، وربطها بأراء بعض المفسرين، ومن ثم استخراج الدلالات التي تتيحها اختلافاتهم. ومن أبرز النتائج المتوصل إليها أنه بدأ واضحا تأثير علم النحو في تفسير القرآن الكريم، فكلما تغير التعليل، تغيرت معه الدلالة.

Corresponding author

- Hafid Elfallahi

Arabic language faculty

Marrakesh, Morocco

E-mail address: elfallahi2011@hotmail.fr

وبعبارة أخرى: بقدرتك عليّ، ونفاذ سلطانك فيّ لأفعدنّ لهم على الطريق المُستقيم¹⁰.

ووجهها الرّمخشري باعتبارها سبباً¹¹، قال: (فِيمَا أَعُوَيْتِي) أي فبسبب إغوائك إياي؛ لأفعدنّ لهم، ويصبح المعنى: فبسبب وفؤوعي في العي لأجتهنّ في إغوانهم حتّى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم¹². ويربط الرّمخشري بين دلالة الباء وفعل القسم المحذوف مجيباً عن سؤال تعلق الباء بقوله "تعلقت بفعل القسم المحذوف تقديره: فيما أَعُوَيْتِي أفسد بالله لأفعدنّ" بمعنى فبسبب إغوائك أقسم¹³. لم يتفق أبو حيان مع الرّمخشري في مسألة ما ذكره من أنّ اللام تصدّ عن تعلق الباء بـ(لأفعدنّ)، واعتبر أنّ ذلك خلافاً¹⁴. وأورد أبو حيان كذلك، رأي ابن عطية الذي يعتبر أنه من اللانق بالقصة أن تفيد الباء معنى المجاوزة، معتمداً في ذلك على قول "كما نقول: فيلكرامك لي يا زيد لأكرمنك"¹⁵. وبتطبيق ذلك على الآية، يصبح المعنى: ياغوائك لي لأغوينهم. ويقدرها ابن عاشور بقوله "أقسم لأفعدنّ لهم حال كون ذلك مني بسبب إغوائك إياي"¹⁶.

نحصل، بتجميعنا للمعاني السابقة، على معنيين مرتبطين بباء القسم، وأخرى متعلقة بباء السبب.

بالنسبة لتخريج باء القسم، فالمعاني المحصل عليها هي:

- أقسم ياغوائك لأفعدنّ.
- بقدرتك عليّ، ونفاذ سلطانك فيّ لأفعدنّ لهم على الطريق المُستقيم.
- أما بخصوص باء السبب، فقد تولدت عنها المعاني الآتية:
- بسبب وفؤوعي في العي لأجتهنّ في إغوائهم...
- بسبب إغوائك أقسم...
- ياغوائك لي لأغوينهم...
- أقسم لأفعدنّ لهم حال كون ذلك مني بسبب إغوائك إياي.

يبدو أنه رغم الاختلاف في توجيه حرف الباء، فإن عنصر القسم حاضر في التخرجات جميعها. ويبقى الفرق في اعتبار السبب فقط. ولا يمكن، من وجهة نظرنا، أن نقصي هذا العنصر من العبارة، على اعتبار أن إبليس لم يسلك سلوك الغواية من تلقاء نفسه، وإنما لسبب معروف. ومن المعلوم أنه رفض السجود لأدم، فهو خلق من نار، ولا يمكن، في نظره، أن يتساوى بأدم الذي خلق من طين.

2-2- حرفا (من) و(عن)¹⁷

يقول تعالى: (ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾)¹⁸.

يلاحظ من خلال الآية، تنوع في استعمال حروف الجر، فنجد الاسمين الأوّلين مجرورين بـ(من)، والثانيين مجرورين بـ(عن). وفي سياق توظيفهما في الآية المذكورة، ذهب الرّمخشري إلى تسمية (من) بحرف الابتداء في عبارة (من بين) أيديهم (ومن خلفهم)، وتسمية (عن) بحرف المجاوزة، في عبارة (عن أيمانهم، وعن شمائلهم)¹⁹، ويبرر ذلك بقوله: "المفعول فيه عدي إليه الفعل نحو تعديته

ولتأكيد هذا الترابط الحاصل بين النحو والمعنى، اخترت معالجة آيات¹ من سورة الأعراف على المستويين النحوي والدلالي، وأشير هنا إلى أنني لم أعتد منهاجاً خطياً في ذلك، بل حاولت ترتيب مجموعة من الظواهر اللغوية حسب مجالها المعرفي، وربطها بآراء بعض المفسرين²، ومن ثم استخراج الدلالات التي تتيحها اختلافاتها.

ولتحقيق ذلك، أوردت في البداية المعنى الإجمالي للآيات، ثم خصصت محوراً للحديث عن بعض حروف المعاني الجارة³ وأثرها في توجيه المعاني، حسب ورودها في هذه الآيات. وبعد ذلك تناولت ظاهرة العطف ودورها في السياق الذي وردت فيه، ثم تطرقت إلى تخرجات المفسرين بخصوص نصب "صراطك" وما يتيحه من توسيع دلالي.

1- المعنى الإجمالي للآيات القرآنية (متن الاشتغال):

يقول الله تعالى:

(قَالَ فِيمَا أَعُوَيْتِي لِأَفْعَدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾) قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْعُومًا مَّدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِحِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾)⁴.

تأتي الآيات المذكورة في سياق قصة آدم، وتتضمن ما لحق إبليس من الغواية والضلال، فقد أقسم على أنه سيقعد لأدم وذريته على طريق الحق الموصلة للجنة، وسيسعى إلى صدّهم عن دين الله. ويبرز الرّمخشري المقصود من قول إبليس بقوله: "فبسبب وفؤوعي في العي لأجتهنّ في إغوائهم حتّى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم"⁵. وقد رد الحق سبحانه بطرده من الجنة مذمومًا معيّنًا مع من سيطيعه من الإنس والجن، متوعدًا، في الآن نفسه، أتباعه الغاوين بجهنم. وهكذا، أسكن الله آدم وحواء الجنة، وأمرهما بالتمتع فيها، ونبههما إلى عدم الأكل من الشجرة، لكن الشيطان حسدهما وسعى إلى الوسوسة والمكر والخديعة، فألقى لهما بصوت خفي لإغرائهما بالأكل من الشجرة ليظهر لهما ما كان مستورًا من العورات التي يفتح كشفها، وحلف لهما بالله على ذلك حتّى خدعهما. ويأتي آخر القصة متضمنًا لاعتراف آدم وحواء بالذنوب، وتطلبهما المغفرة من خالقهما. وبالفعل، جاءت توبة الله على آدم مقرونة بخروجه من الجنة، فاهبطه الله وزوجه إلى الأرض، وأهبط معها إبليس⁶.

2- بعض حروف المعاني الجارة وأثرها في توجيه معاني القرآن الكريم

2-1- حرف الباء⁷

يقول تعالى: (قَالَ فِيمَا أَعُوَيْتِي لِأَفْعَدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾)⁸

اختلف المفسرون في توجيه حرف الباء في قوله: (فِيمَا أَعُوَيْتِي) فقد اعتبرها أبو حيان قسمية⁹، فيصبح المعنى: أقسم ياغوائك لأفعدنّ لهم على الطريق المُستقيم.

10. هذا المعنى استقينا من تقدير أبي السعود حيث إنه قال: "إن إغواءه تعالى إياه أثر من آثار قدرته عز وجل وحكم من أحكام سلطانه تعالى، فمأل الإقسام بهما واحد"، تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 219/3.

11. ويضيف أن ما استفهامية كأنه استفهام عن السبب الذي اغواه "الكشاف" 429/2.

12. الكشاف، 2/ 427-428.

13. نفسه، 428/2.

14. يقول أبو حيان "ليس حكماً مجتمعاً عليه، بل في ذلك خلافت"، 275/4.

15. نفسه، 275/4.

16. الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984، 46/8.

17. من معاني (من): تأتي مرادفة لـ(عن)، ومرادفة لـ(في)، وبمعنى (عند)، ومرادفة للباء، ومرادفة لـ(على)، وبمعنى ربما إذا اتصلت بما.. "معنى اللبيب، ص 419-425. وتأتي (عن) على ثلاثة أوجه: أحدهما أن تكون حرفاً جزاءً، ثانيهما أن تكون حرفاً مصدرياً، ثالثهما أن تكون اسماً بمعنى جانب. وذكر ابن هشام للجارّة عشرة معان منها: المجاوزة، البذل، الاستعلاء، التعليل، مرادفة بعد الظرفية". "معنى اللبيب، ص 196-199.

18. سورة الأعراف، الآية 17.

19. "الإيمان جمع يمين، واليمين هنا جانب من جسم الإنسان يكون من جهة القطب الجنوبي إذا استقبل المرء مشرق الشمس، تعارفه الناس، فشاعت معرفته ولا يشعرون بتطبيق الضابط الذي ذكرناه، فاليمين جهة يتعرّف بها مواقع الأعضاء من البدن يقال: العين اليمنى واليد اليمنى ونحو ذلك.. والشمال جمع شمال وهي الجهة التي تكون شملاً لمستقبل مشرق الشمس، وهو جمع على غير قياس" عن التحرير والتنوير 50/8.

1. من الآية 16 إلى الآية 21 من سورة الأعراف.

2. نفصد الرّمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعبون الأفاويل في وجوه التأويل، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط 1، 1998 - أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط 1، 1993، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان - أبو السعود، تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984.

3. هذه الحروف هي الباء، واللام، ومن، وعن.

4. الآيات من 16 إلى 21 من سورة الأعراف.

5. الكشاف، 2/ 427-428.

6. ينظر جل التفاسير نذكر منها تفسير البحر المحيط لأبي حيان، تفسير الكشاف للرّمخشري، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور... الخ.

7. ذكر ابن هشام الأنصاري المصري في الباء أربعة عشر معنى منها: الإصلاق والتعدية، الاستعانة والسببية، المصاحبة، الظرفية، البذل، المقابلة، المجاوزة، الاستعلاء، القسم "معنى اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط 5، 1979، دار الفكر بيروت، ص 137-150.

8. سورة الأعراف، الآية 16.

9. يقول أبو حيان "والظاهر أن الباء للقسم وما مصدرية" البحر المحيط، 275/4.

يُدرج أبو حيان هذه القراءة، وهي منقولة عن عاصم في رواية أبي بكر من بعض طرقه والحدري وهي (لمن) بكسر اللام، ويعرض في ذلك ثلاثة تخريجات:

✓ يعتبر ابن عطية، في التخرīj الأول، أن اللام متعلقة بقوله «لأملأن» ويتأول المعنى بقوله: «لأجل من تبعك منهم لأملأن»³². لكن أبا حيان يرد على هذا التخرīj بقوله: «ويمتنع ذلك على قول الجمهور أن ما بعد لام القسم لا يعمل فيما قبله»³³.

✓ ويورد أبو حيان، في سياق اللام المجرورة، التخرīj الثاني، وهو للزمخشري، يعتبر فيه الجار والمجرور خبراً مقدماً، ولأملأن في محل الابتداء، ويقدر المعنى ب: لمن تبعك منهم الوعيد، على اعتبار أن (لأملأن جهنم) دل على قوله هذا الوعيد؛ لأن هذا القسم وجوابه وعيد، وهذا ما بينه الزمخشري بقوله: «بمعنى: لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله: لأملأن جهنم على أن لأملأن في محل الابتداء ولمن تبعك خبره»³⁴. ويأتي أبو حيان مرة أخرى ليرد على هذا الرأي بقوله: «فإن أراد ظاهر كلامه فهو خطأ على مذهب البصريين؛ لأن قوله: لأملأن جملة هي: جواب قسم محذوف، فمن حيث كونها جملة فقط، لا يجوز أن تكون مبتدأة، ومن حيث كونها جواباً للقسم يمتنع أيضاً؛ لأنها إذ ذاك من هذه الحكيمة لا موضع لها من الإعراب، ومن حيث كونها مبتدأ لها موضع من الإعراب ولا يجوز أن تكون الجملة لها موضع لا موضع لها بحال؛ لأنه يلزم أن تكون في موضع رفع، لا في موضع رفع، داخلاً عليها عامل غير داخل، وذلك لا يتصور»³⁵.

✓ ونقل أبو حيان تخرījاً ثالثاً عن أبي الفضل الرّازي³⁶، يعتبر فيه أن اللام المجرورة متعلقة بالذّام والدّحر³⁷، حيث يكون المعنى: أخرج بهاتين الصفتين لأجل اتباعك³⁸.

إن اختلاف توجيهات حرف اللام ساهم في تنوع معاني الآية الكريمة، فإذا كانت اللام مفتوحة، فالمعاني هي:

- للذي تبعك منهم، والله لأملأن جهنم منكم (باعتبار "من" موصولة).
- أقسم من تبعك منهم لأملأن جهنم منهم ومنك (باعتبار "من" شرطية).
- وإذا كانت اللام مجرورة، فالمعاني المحصل عليها هي:
- لأجل من تبعك منهم لأملأن جهنم.
- لمن تبعك منهم الوعيد لأملأن جهنم.
- أخرج بهاتين الصفتين (الذّام والدّحر) لأجل اتباعك.

يتضح إذن، أن الاختلاف في توجيه اللام في هذه الآية نتج عنه تعدد دلالي، لا يتناقض في مجمله، بل يكمل كل وجه من هذه المعاني المعنى الآخر. وفي رأينا يبقى التوجيه الأول هو الأقرب إلى أذهاننا نظراً لتمييز المعنى البسيط عن غيره، وخصوصاً المعاني التي تنبثق عن تقديرات غير متكلفة. وهذا ينطبق على المعنى الأول.

ب- اللام في قوله تعالى: (فَوَسَّوْا لَهُمَا الشَّيْطَانَ لِيُبْذِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا):

ذهب أبو حيان³⁹، في شأن لام (لِيُبْذِيَ)، إلى اعتبارها (لام كي) قصد إبداء سؤآت آدم وحواء، حيث تنحط مرتبتهما بكشف ما ينبغي ستره، ومن ثم يكون الشيطان رفقة آدم وحواء واقعين في المخالفة، ويصبح المعنى: وسوس لهما الشيطان لكي

إلى المغفول به، فكما اختلفت حروف التّعديّة في ذلك اختلفت في هذا²⁰. ويضيف أنه عندما نقول: جلس عن يمينه، وعلى يمينه، وعن شماله، وعلى شماله، فالمقصود من (على يمينه) أنه "تمكّن من جهة اليمين تمكّن المستعلي من المستعلّى عليه"²¹. ويذكر معنى (عن يمينه) أنه جلس مُتجافياً عن صاحب اليمين غير مُلاصق له مُخرفاً عنه، ثم كثر حتى استعمل في المُتجافي وغيره²². أما فيما يتعلق بـ(من)، فقد بررها الزمخشري بقوله "من بين يديه ومن خلفه؛ لأنّ الفعل يقع في بعض الجهتين كأن تقول: جئت من الليل تريد بعض الليل"²³. ويستحسن أبو حيان هذا الرأي بقوله: "وهو كلام لا بأس به"²⁴. وقد علل تقويمه هذا، واعتبر أن (من) حرف ابتداء، لأن العدو غالباً ما يأتي من جهة الخلف ومن بين الأيدي، ويوضح ذلك بقوله: "وإنما خصّ بين الأيدي، والخلف بحرف الابتداء الذي هو أمكن في الإتيان؛ لأنهما أغلب ما يجيء العدو منهما فينال فرصته"²⁵. ويضيف أيضاً في مسألة تقديم بين الأيدي على الخلف فيقول: "وقدّم بين الأيدي على الخلف؛ لأنّها الجهة التي تدلّ على إقدام العدو وبسالته في مواجهة قرّنه غير خائف منه..."²⁶ وسمى (عن) حرف مجاوزة لأن جهة الأيمان والشمال لا يأتي، في الغالب، منهما العدو. ورأى أن تقديم الأيمان على الشمال ناتج على اعتبار جهة اليمين الجهة القوية التي يأتي منها العدو، ويوضح ذلك بقوله: "وخصّ الأيمان والشمال بالحرف الذي يدلّ على المجاوزة؛ لأنهما ليستا بأغلب ما يأتي منهما العدو، وإنما يجاوز إتيانه إلى الجهة التي هي أغلب في ذلك، وقدّمت الأيمان على الشمال؛ لأنها هي الجهة القوية في ملاقات العدو..."²⁷ وتبعاً لذلك، يتبين أن أبا حيان لا يختلف مع الزمخشري في تسمية (من) حرف ابتداء (عن) حرف مجاوزة، لكن الاختلاف يكمن في طريقة تعليقه لهذا التخرīj.

2-3- حرفا (اللام + من)

يقول تعالى: (قَالَ أَخْرَجْ مِنْهَا مَذْعُومًا مَذْحُورًا لِمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ) (١٨)

أ- اللام في قوله تعالى: (لِمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ)

اختلف في قراءة اللام في هذه الآية، إذ يمكن أن نتحدث عن حالتين:

- الحالة الأولى: قراءة اللام المفتوحة:

يورد أبو حيان³⁰، لهذه القراءة، تعليلين:

- التعليل الأول: رأي الجمهور

يذهب الجمهور إلى اعتبار أن اللام لامّ الابتداء، (وَمَنْ) مَوْصُولَةٌ (وتبعك) صلتها، وهي في محل رفع بالابتداء أيضاً، و(لأملأن) جواب قسم محذوف، وذلك القسم المذخوف، وجوابه في محل رفع خبر لهذا المبتدأ، فيصبح المعنى: للذي تبعك منهم، والله لأملأن جهنم منكم.

- التعليل الثاني: رأي أبي حيان

يرى أبو حيان أن اللام موطئة لقسم محذوف، (وَمَنْ) شَرْطِيَّةٌ في محل رفع بالابتداء، وجواب الشرط محذوف لسدّ جواب القسم المحذوف مسدّ. ويصبح المعنى في هذه الحالة: أقسم من تبعك منهم لأملأن جهنم منهم ومنك³¹.

- الحالة الثانية: قراءة اللام المكسورة

³¹ للطاهر بن عاشور رأي آخر بخصوص جواب القسم المحذوف، فهو يعتبر (لأملأن) جواب القسم مدلول عليه بلام التوطئة. ويضيف في شأن ضمير (منهم) فيقول: "غلب في الضمير حال الخطاب لأن الفرد الموجود من هذا العموم هو المخاطب وهو إبليس" التحرير والتنوير، 51/8.

³² البحر المحيط، 278/4.

³³ نفسه، 279/4.

³⁴ الكشف، 431/2.

³⁵ البحر المحيط، 279/4.

³⁶ ذكره في كتابه «الوأمج في شواذ القراءات»، البحر المحيط، 279/4.

³⁷ يقول الطاهر بن عاشور "مذعوم اسم مفعول من ذامه - مهموزاً - إذا عبّه وذمه ذاماً، وقد تسهل همزة ذام فتصير ألفاً فيقال: ذام ولا تسهل في بقية تصاريفه. ومذوح مفعول من ذحره إذا أبده وأقصاه، أي: أخرج خروج مذموم مطرود، فالذم لما اتصف به من الرذائل، والطرّد لتزويه عالم القدس عن مخالطته". التحري والتنوير، 51/8.

³⁸ الملاحظ في تسمية الآية {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ} توظيف الحق سبحانه أسلوب الالتفات، فعندما اجتمع ضميراً غيبية وخطاب، غلب الخطاب فقيل (منكم) أي منك ومنم تبعك" البحر المحيط، 279/4.

³⁹ البحر المحيط، 279/4.

²⁰ الكشف، 430/2.

²¹ نفسه، 430/2.

²² نفسه، 430/2.

²³ نفسه، 430/2.

²⁴ يبدو في نطاق هذا الحكم، أن الجانب العقدي حاضر هنا بقوة، فبالرغم من أن رأي الزمخشري لقي استحساناً لدى أبي حيان، إلا أن هذا الأخير اكتفى فقط بذكر (لا بأس به)، في إشارة إلى التقليل من قيمة النتيجة التي توصل إليها الزمخشري، ينظر البحر المحيط، 278/4.

²⁵ نفسه، 278/4.

²⁶ نفسه، 278/4.

²⁷ البحر المحيط، 278/4.

²⁸ اللام ثلاثة أقسام: عاملة للجر، وعاملة للجزم، وغير عاملة. والجار لها اثنان وعشرون معنى نذكر منها: الصيرورة، التعليل، مرادفة لـ(في)، على، مع، بعد، من، عند، إلى... مغني اللبيب، ص274-291.

²⁹ سورة الأعراف، الآية 18.

³⁰ البحر المحيط، 278/4.

وبذلك، تصبح المعاني المحصل عليها بخصوص نصب (صراطك) كما يلي:

- لأفَعَدَنَّ لَهُمْ عَلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمَ.
- لأفَعَدَنَّ لَهُمْ فِي صِرَاطِكَ.
- لألْزِمَنَّ صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمَ بِقُودِي عَلَيْهِ.

يبدو، من خلال تأملنا لهذه المعاني، أن التوجيهين "الأول والثاني" متقاربان، إلا أن الثالث يختلف عنهما. وهو في نظري يبقى احتمالاً بعيداً، على اعتبار أن إبليس لا يرغب أصلاً في التزام الصراط المستقيم، والقعود عليه.

على سبيل الختم:

لقد بدا واضحاً تأثير علم النحو في تفسير القرآن الكريم، والنماذج التي اشتغلنا عليها دليل على ذلك، فكلما تغير التعليل، تغيرت معه الدلالة. ويمكن أن نخلص، من خلال ما سبق، إلى ما يلي:

- أولاً، إن تأمل المعاني التي جاءت عليها حروف الجر في القرآن الكريم، يساعد على فهم الآية، ويؤدي إلى تفسيرها تفسيراً واضحاً.

- ثانياً، يحتمل الحرف الواحد في الآية وجوهاً كثيرة، وكل مفسر يختار الوجه الذي يراه مناسباً حسب مرجعيته وتدوقه للآية، مما يتيح تنوعاً دلاليًا يساهم في الإفصاح عن معناها.

- ثالثاً، تساهم ظواهر نحوية عديدة في توجيه الدلالة القرآنية، ومثال ذلك ما يؤديه العطف من وظيفة تتمثل في تبيان نوع التعالق بين العبارات. كما أن تغيير الحركات الإعرابية لبعض الألفاظ مثل (صراطك) كفيل بتغيير معنى العبارة كلها.

المراجع

- القرآن الكريم برواية ورش.
- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993.
- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط1، 1998.
- أبو السعود، تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984.
- ابن هشام الأنصاري المصري، مغنى اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ط5، 1979.

بيدي لهما سواتهما. ويورد رأياً آخر يجعل (اللأم) للصيرورة⁴⁰. ويعتبر أن الشيطان لم يكن يعلم بهذه العقوبة المخصوصة فيقصدتها، ويقدر المعنى في هذه الحالة بـ: "أن أمرهما آل أو صار إلى ذلك"، بتعبير آخر: أن سواتهما صارت بادية.

الملاحظ⁴¹ أن تسمية اللام بلام العاقبة، تقتضي عدم علم الشيطان بأن العصيان سيفضي إلى إظهار سوات آدم وحواء، حيث يشبهه، في هذه الحالة، حصول الأثر عقب الفعل، بحصول المعلول بعد العلة. وتسمى هذه اللام لام العلة، إذا كان الشيطان يعلم ذلك⁴². ولما كان إبليس يسعى جاهداً إلى إلحاق الأذى بآدم وحواء، ويريد إيقاعهما في المعصية، كان تخريج التعليل هو الأقرب، على اعتبار أن إبليس كان يعلم أن العصيان سيفضي بهما إلى سوء الحال. وإبداء السوات مظهر من مظاهر هذا سوء.

2- ظواهر نحوية أخرى

1 - العطف:

تميز الطاهر بن عاشور بإبرازه لوظيفة العطف في هذه الآيات، وتطرق إلى عطف جملة (ثُمَّ لَا تَنبَهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ⁴³) على جواب القسم (لَأَفَعَدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦))، ورأى أن هذا العطف يعبر عن "التدرج في الأخبار إلى خير أهم؛ لأن مضمون الجملة المعطوفة أوقع في غرض الكلام من مضمون الجملة المعطوف عليها، لأن الجملة الأولى أفادت التردد للبشر بالإغواء، والجملة المعطوفة أفادت التهجّم عليهم بشئى الوسائل⁴³."

وفي قوله تعالى: (فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِمِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ)، يرى عطف جملة: (وقال ما نهاكما ريكما) على جملة (فوسوس) في إشارة إلى أن الشيطان وسوس لآدم وزوجه وسوسة غير قوله: (ما نهاكما) الخ. ثم تلى وسوسته بأن قال: ما نهاكما. وتتمثل فائدة العطف في هذا السياق في الإشعار بأن آدم وزوجه تردداً في الأخذ بوسوسة الشيطان فأخذ الشيطان يراودهما، ويتابع ابن عاشور كلامه مبيناً أهمية العطف في هذا الموضع بقوله "ولو كانت جملة: (ما نهاكما) إلى آخرها بياناً لجملة (فوسوس) لكانت جملة: (وقال ما نهاكما) بدون عاطف، لأن البيان لا يعطف على المبيّن⁴⁴ ومن ثم يريد ابن عاشور أن يبين أن هذه الجملة مستقلة بذاتها والعطف هنا للاستئناف وليست جزء كلام أو تفسيراً له.

ب- نصب "صراطك" في قوله تعالى:

(قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتِي لِأَفَعَدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦))

يورد أبو حيان الآراء المتعلقة بنصب (صراطك)، ويحصرها في ثلاثة أوجه، ويعلق على كل حالة يذكرها:

- يمضي توجيه الأول، وهو رأي الزجاج، إلى اعتبار "صراطك" منصوباً على إسقاط الخافض، معتمداً في ذلك على المتعارف عند العرب: (ضرب زيد الظاهر والبطن، أي: على الظاهر والبطن). وتبعاً لذلك، يمكن أن نؤول المعنى بـ: لأفَعَدَنَّ لَهُمْ عَلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمَ. ويرد أبو حيان على هذا الطرح موضحاً أن حَرْفَ الْجَرِّ لَا يَطْرُدُ حَذْفَهُ، بقوله "واسقاط حرف الجر لا ينقاس في مثل هذا"⁴⁵.

- ويتضمن التوجيه الثاني اعتبار صِرَاطِكَ منصوباً على الظرف، إذ يصبح المعنى: لأفَعَدَنَّ لَهُمْ فِي صِرَاطِكَ. وهذا كذلك توجيه ضعيف في نظر أبي حيان على اعتبار أن (صِرَاطِكَ) ظرف مكان مُخْتَصِنٌ، والظرفُ المَكَائِيُّ المَخْتَصِنُ، لا يصل إليه الفِعْلُ بنفسه، بل بحرف الجر (في). يقول أبو حيان، بصدد ذلك: "وهذا أيضاً تخريج فيه ضعف لأن (صراطك) ظرف مكان مختص وكذلك الطريق فلا يتعدى إليه الفعل إلا بواسطة في، وما جاء خلاف ذلك شاذاً أو ضرورة"⁴⁶.

- أما التوجيه الثالث، وهو الذي يتبناها أبو حيان، فهو أن "صراطك" منصوبٌ على المفعول به؛ لأن الفِعْلَ قَبْلَهُ ضَمَّنَ مَعْنَى فِعْلٍ مُتَعَدٍّ. ويتغير المعنى ليصبح: لألْزِمَنَّ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ بِقُودِي عَلَيْهِ⁴⁷.

40. وتسمى أيضاً لام العاقبة ولام المال، مغنى اللبيب، ص282.

41. بالرجوع إلى رأي الطاهر بن عاشور.

42. التحرير والتنوير، 57/8.

43. التحرير والتنوير، 49/8.

44. نفسه، 58/8.

45. البحر المحيط، 276/4.

46. البحر المحيط، 276/4. وقد أدرج أبو حيان، في السياق نفسه، رأي ابن الطراوة الذي جعل (الصراط) و(الطريق) في هذين الموضعين مكانين مُبْهَمَيْنِ. واعتبر أيضاً هذا القول مردوداً عليه بقوله: "وما ذهب إليه أبو الحسين بن الطراوة من أن الصراط والطريق الطرف مبهم لا مختص رده عليه أهل العربية".

47. نفسه، 276/4.